

الجوائز الأدبية ومنجزاتها

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

تكن لها سمعة التجارة هي « جوائز نوبل » Nobl في بلاد السويد و « جائزة جونكور » Goncourt و « جائزة فينا » Femina في فرنسا ، والجائزة « الهوثورنية » Hawthorne في انكلترا ، و « جائزة بولتر » Pulitzer في أمريكا . وظهرت بعد ذلك جوائز أخرى في هذه البلاد وغيرها . وبها تكن هذه الجوائز صادقة في التعبير عن عصر بذاته ، أو عن أثرة الروح القومية ، أو هي مسألة ذميرة على المؤلف دون غيره ، فهي على أي حال جوائز اعتراف بالنفوق الأدبي

وليس من شك في أن جوائز نوبل خلدت ذكر الفرد برنارد نوبل Alfred Bernhard Nobel ، ذلك المخترع السويدي الذي تمكن من اكتشاف الديناميت فيما بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٦ . وكأما أراد أن يوازن بين خطر ما اخترعه بعمل آخر فأثبت في وصيته عدداً من الهبات ظنها مؤدية إلى القضاء على استعمال الديناميت . ولعل ذكرى السنين العجاف من حياته ، التي أضناه فيها الكفاح بسد ما زار الولايات المتحدة عام ١٨٥٠ ليعمل في خدمة المخترع الاسكتلندي الأسبق جون إريكسون John Ericsson ، أوحى إليه بوجوب تخصيص إعانات للمطاع كي يتيسر لهم متابعة أبحاثهم ووجوب مساعدتهم حين الاخفاق . فلما واناها الحظ حقق ذلك في وصيته إذ أثبت فيها قبل وفاته أن فوائد ما يتركه من رأس مال يجب أن تقسم سنوياً إلى خمس جوائز ، تبقى إحداها وفقاً على علم الطبيعة ، وأخرى وفقاً على الكيمياء ، وواحدة للطلب أو علم التحليل النفساني ، ورابعة تخص مشكلة السلام ، وخامسة ترصد للأدب . وتمنح جائزة الأدب سنوياً كما هو نص الوصية ، « إلى الشخص الذي أنتج في عالم الأدب أحسن كتاب حوى نزعات مثالية » . ووكل أمر اختيار ذلك إلى المجمع السويدي . والحق أن هذه الجائزة التي تتراوح بين اثني عشر ألفاً وخمسة عشر ألف جنيه هي لأى أديب حياة راضية مرضية

أما جائزة جونكور فلا زالت على عهدنا منذ نشأتها في سنة ١٩٠٣ أشهى ثمرة تهاقت عليها الأدباء في فرنسا . وهذه تمنح دون استثناء للأدباء الناشئين . وهي أرفع منزلة من مقعد ثابت في المجمع الفرنسي . وتمنح جائزة جونكور الدرجة الأولى من سلم

منصبيح الجوائز الأدبية يوماً ما ، وإن بعد ، موضوع رسالة أحد طلاب العلم يتقدم بها إلى إحدى الجامعات لينال أجازة « الدكتوراه » في الآداب . ولا ريب في أن مثل هذا الموضوع سيكون في نظر أدباء ذلك الجيل المقبل طريفاً غاية الطرافة ، كما يجد أدباء هذا العصر متعة وأى متعة في حديث التقدير الأدبي الذي لقيه أدباء القرن التاسع عشر في أوروبا وأمريكا . فقد كان تقدير الأدباء لذلك الجيل يجري على منوال خاص . ففي انكلترا مثلاً منح الشاعر « لوريت » Laureate الذي نشأ راعياً مرعى خصيباً . ومنح الكثير من الأدباء ألقاباً بمناسبة إحياء أيام مولدهم أو نحوها من المناسبات . أما تقدير الأدباء في أمريكا فكان يجري على منوال آخر أسسه الانتفاع الضمني بالناحية السادية لمظهر الهبة أو المكافأة ، إذ يذكر عن « ناناييل هوثورن » Nathaniel Hawthorne أنه عين قنصلاً لأمريكا في ليفربول لمجرد الاعتراف بقدره الأدبي . وكذلك قلد « هرمن ملفيل » Herman Melville مثل هذه الوظيفة ليتمكن من التئلب على ضائقته المالية . وتابعت أمريكا السير في ذلك حتى عام ١٩٠٤ حين عين الرئيس روزفلت « ادوين أرلنجتون روبنسن » Edwin Arlington Robinson في إدارة المكوس تشجيعاً له على النهوض بالشعر . جرى مثل ذلك على البعض في حين أن فطاحل الأدباء للعصر الفيكتوري مثلاً لم يصيدوا شيئاً من هذه الهبات ، إلا أنهم استمضوا عن ذلك بادرالك الحقيقة الرامنة التي كانت تتجلى لهم يوماً بعد يوم في زيادة طبقات القراء ، فأوحت لهم تقمهم بأنفسهم ألا يضعوا أمانهم في غير المستقبل . وسرعان ما اطمانت نفوسهم عندما صدر عام ١٨٨٠ قرار يجعل حق الطبع والنشر ملكاً للمؤلف . وقضى هذا القرار على قرصنة الناشرين وسطو المنتصبين على أعمال الأدباء . وبطبيعة الحال كان تكرار نشر عمل أدبي يدر على صاحبه رزقا جديداً . ولهذا لم يأبهوا الهبات والجوائز وأول الجوائز الأدبية التي ظهرت خلال القرن العشرين ولم

من أربعين جزءاً من جائزة نوبل ، وإن كانت تطبع صاحبها بطابع الجودة وتدمغه بخاتم الذهب الايريز في نظر القارئ ، والناسر على السواء . ومن ثم يحجز المؤلف مكانة بدمان يكون مهملاً الاهمال كله . والحق أن الجائزة أياً كانت تدق الطبول لصاحبها فينتبه الناس إلى أن لهذا الرجل كتاباً لا يمكن التفاضل عن قراءته . وهذا مثلاً هنري وليمن Henry Williamson لم يكن معروفاً إلا لنفر قليل ، فسا هو إلا أن منح جائزة هوثورن من أجل كتابه « تاركا ، كلب الصيد » Tarka the Otter حتى تهافت الناس على قراءة كتابه وذاع اسمه في كل محيط . وعند ما قضى المحكوم بمنح جائزة جونكور لأندريه مارلو André Malraux لكتابته حظ شخص Man's Fate لفتوا العالم إلى واحد من أدباء الشباب في فرنسا الذين يعملون وبجاهدون للثقل العليا . وكانت جوزينا جونسن Josephine Johnson قد باعت من كتابها « الآن في نوفمبر » Now in November مدى أحد عشر شهراً من بدء ظهوره ١٠ آلاف نسخة . وما إن منحت جائزة بولتزر من أجله حتى وصلها بين عشية وضحاها ٩ آلاف طلب ممن يريدون الاستمتاع بهذا الكتاب . وخلاصة القول إن هذه الجوائز القومية تخرض الناس على القراءة وتدفع الأدباء إلى تحسين الانتاج ثم هنالك معركة حامية أبدا مستمرة دائماً في الخفاء بين الكتب ، وليس لدى الذين لم يتدبجوا بعد في تجارة الكتب أي فكرة عنها ، فالتنافس بين المؤلفين بلغ شدته القصوى ، وهو في هذه الشدة قاس عظيم القسوة صلف قوي ، وليس للتسامح أو اللين أو المهادنة إليه سبيل ؛ ولعل هذه الحرب اليوم أشد استعارة مما كانت عليه في سابق الأيام

ومهما تكن الحال فستبقى الديمقراطية عرجاء حتى يكون من واجبات الدولة تمرير الجماهير على كيفية القراءة المنتجة . وأول الخطوات في ذلك أن تبين للناس أحسن وأثمن وأنفع الكتب ، ولكن إلى أن نصل إلى مثل هذا المهد ستبقى أسواق الكتب مملوءة بما يظهره الناشر في كل يوم ، أولئك الناشر المنتشرون في كل بلاد الشرق والغرب ، وستبقى جمهرة القراء في حيرة عندما يعمدون إلى انتخاب كتب للقراءة ، ويكفي دليلاً على هذا حال الولايات المتحدة ، فقد أصدر الناشر فيها برغم كساد سوق الكتب منذ عام ١٩٣٠ قدراً لا يقل عن ٥٠٠٠

العلاء الأدبي . وهناك جائزة فرنسية أخرى لها صداها في خارج البلاد الفرنسية هي جائزة فينا . وكانت « مجلة فينا » Femina قد تآزرت عام ١٩٠٤ مع « مجلة لاثي أورو » La Vie Heureuse على منح جائزة قدرها خمسة آلاف فرنك لأحسن رواية توضع باللغة الفرنسية في نظر لجنة الكاتبات الفرنسيات . وأنشأت هذه اللجنة النسائية عام ١٩١٩ جائزة شبيهة بتلك وقفها على المؤلفين الانكليز لسائين البلدين من صداقة . ثم أنشأت عام ١٩٣٢ « جائزة فينا الأمريكية » لتكون قاصرة على الأدباء الأمريكيين

وأهم الجوائز الأدبية التي تمنح في بريطانيا العظمى هي أولاً : الجوائز التذكارية لجيمس تيب بلاك James Tait Black Memorial Prizes التي تمنح في ربيع كل عام من أجل تاريخ حياة شخص عظيم أو من أجل رواية طابها بريطانيا . وعلى أستاذ آداب اللغة الانكليزية في جامعة أدنبرج أن يختار أحسن الأعمال . وثانية الجوائز « جائزة هورن » Hawthornded Prize التي تمنح لأجمن قصة يضمها كاتب انكليزي دون الحادية والأربعين من عمره . أما جوائز بولتزر Pulitzer Prizes فقاصرة على الكتاب الأمريكيين من ذوى المواهب الفذة ، على أن تظهر هذه المواهب في أعمالهم الأدبية

ولا ريب في أن جائزة نوبل اليوم هي أعظم الجوائز في عالم الأدب إطلاقاً ، إذ هي لا تؤثر قومية على أخرى . ثم إنه لا يحكم بها من أجل كتاب مفرد ، بل يجري الحكم بها بعد التثبت من صلاحية شطر من مؤلفات أديب بذاته ، وهي لهذا السبب غالباً ما تمنح في خريف حياة الكاتب الأدبية وبعد أن يستكمل نضوجه الأدبي . وتشبه جائزة نوبل في ذلك اعتراف النشود على ميت بطيبته وحسن عمله في الحياة ، ولعل مستر سنكلر لويس Sinclair Lewis أحد الشواذ الذين يثبتون صحة هذه القاعدة ، فقد أنتج كثيراً بعد ما أحرز جائزة نوبل

أما الجوائز الأخرى التي تقل عن جائزة نوبل شأناً ، وقد ذكرت من قبل ، فهي كثيراً ما كانت متحيزة في قصدها متأثرة بروح العصر في اختيارها . ثم إن الضيق السالى الذي تحمل العالم في السنين الأخيرة لم يدع لواحدة من هذه الجوائز أن تصل إلى جزء